

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الششتوى

الفأر يختار لنا طعامنا؟

هل فقدنا وراء جريتنا وراء الحقيقة حواس وغرائز زودنا بها الله؟

يصرح العلم بأننا أضفنا كثيراً من غرائزنا أو على الأقل سيطرنا عليها فأصبحت لنا قوانين وتقاليد تحكم تصرفاتنا. ويرى خواص الحيوانات مميزات ليست في الإنسان. وعلى هدى هذه الغرائز يعيش الحيوان فيختار ما يفيد ورفض ما يضره. ويتصرف بما يبق نوعه.

ومن التجارب التي أجريت أخيراً وفق إليه البروفسور رشتار في أبحاث أجراها على الفيران لاختبار قدرتها التريزية على اختيار الغذاء الفيد لها في الحالات المختلفة. فعمد إلى مجموعة من الفيران الكبيرة السن فأطلقها لتترب كما تشاء من ماء نسبة الملح فيه ٣٪ ثم أزال غددها التي تلو الكلى فكانت النتيجة عجيبة إذ شربت الفيران كمية كبيرة من الماء المالح.

وأزال الغدد التي في المنق فازدادت شهية الفيران إلى المواد الجيرية وغيرها من المواد المعدنية. ثم قسم البروفيسور رشتار وجبات الطعام إلى أكوام نقيية من النشويات والزلالينات والدهنيات والفيتامينات، ووزن كل منها محدود. وأعد أيضاً أوعية بموائيل تحتوي الأملاح المختلفة والفيتامينات وزيت كبد الحوت وكل مادة أخرى يراد اختبارها، فاختارت الفيران وجبات الغذاء اللازمة لها كأن إخصائياً في التغذية أوصاها يتناولها.

وتناولها بمعضه مرة أخرى فأزال البنكرياس من كل منها فأصبحت معرضة للإصابة بمرض السكر، فامتعت الفيران عن تناول أى غناء فيه سكر أو نشاء، واستهلكت كميات كبيرة من العن تماماً كما يوصى الطبيب مريضه.

وهكذا كلما استأصل منها الطبيب عضواً عوضت الجردان عمله باختيار الطعام الملائم لها أو امتعت عن الأغذية التي تضرها.

وكانت في كل مرة تقدم للبروفيسور رشتار فائمة بالأغذية التي يجوز تناولها والتي لا يجوز.

فهل جرد الإنسان من مثل هذه التريزة التي ترشده إلى الغذاء العالح له؟ لقد عاش الإنسان ملايين السنين معتمداً على حاسة الذوق وحدها فلم يرشده طيب ولا إخصائى عما يجوز تناوله من الأغذية وما لا يجوز.

إن تقدم العلم وحده حول من وسائلنا وطرقنا في الحياة فتنع وأجاز بناء على اختبارات ثابتة. ولكنه لم يقل كل كئانه، ولم يكشف عن كل أسرارها. فمذ مئات السنين عرف الإنسان أن التغذية ليست خبزاً وإداماً، بل هي ما في هذا الخبز والإدام من وحدات حرارية تحرك أجهزة الجسم فرأينا أنفسنا كغلايات وقودها الطعام.

واكتشفت الفيتامينات فعرفنا سراً آخر، وأدركنا أن الأجيذة الإنسانية لا تعمل بالوحدات الحرارية تحسب، بل إن نشاطها ومرضاها يعتمدان إلى حد كبير على حيوية هذه المواد التي أطلقنا عليها الحروف الهجائية، فالاعتماد على اللحم وحده مع وفرة كئانه الحرارية لا يمنع الجسم من الأخلال إن لم تعضده بمجمرات الفيتامينات.

فنقص الفيتامينات في الجسم يؤدي إلى عدة أمراض تبدأ من الالتهابات الجلدية فإن استمر نقصها أوصت الإنسان إلى الموت، ولاعبرة في هذا بوفرة الوحدات الحرارية التي يحتويها غذا، الإنسان في وجباته. على أنه من الثابت أيضاً أن كمية الوحدات الحرارية التي تنتجها المواد الغذائية ذات أثر كبير في نشاط الإنسان، فالعامل الذي يشتغل بمضلاته يحتاج إلى كميات طعام أكثر من الموظف الذي يؤدي الأعمال الكتابية.

وتقودنا أبحاث البروفسور رشتار إلى نتيجتين: أولاهما أن يؤدي التوسع في أبحاثه إلى معرفة دقيقة لأنواع الأغذية الملائمة للأمراض المختلفة مما يساعد الطبيب والمريض على سهولة الشفاء أو نوق المرض.

والثانية هي حاسة الذوق، فإذا كانت الجردان بفضل هذه الحاسة تجيد اختيار طعامها فكيف نقلها في الإنسان، وما هي على التدقيق، فقد ثبت من هذه التجارب أن الجردان تفضل الغذاء الطبيعي الفنى بالوحدات الحرارية وبالفيتامينات وغيرها من المواد